بدعة المولد ومظاهرها الوثنية[١]

الوليد الحبيب:

في مثل هذا الشهر تهلل بالإشراق الروحي محيي الوليد الحبيب، تناسمه من الله روح حكيمة، وتغمر وجوده الإنساني بالحفظ رعاية من الله هادية.

وفي المهد - ناح من حوله اليتم - راح يدرج الوليد، يباكره الحب، ويناغيه الحنو من كل من حوله، إذ شاء الله أن تكون تلك القلوب الوثنية، حراسًا لهذا الوليد الذي سيدمر الأولياء المعبودة من دون الله، وينكس ذليلًا علىٰ رأسه كل طاغوت، فيا لقدرة الله، ويا لحكمته البالغة!!

من غياهب الكفر، ومغاور الشرك، يتألق نور الإيمان، ويتنضر روح التوحيد، فإبراهيم من بين الأصنام يدعو القلوب إلىٰ إخلاص العبادة لله، وموسىٰ من بيت فرعون يذكر المستكبرين بملكوت الله، ومحمد: هذا الرسول العظيم الكامل ﷺ يختم الرسالات، ويتم في الوجود الإنساني دين الله، وكان أهله ومن حوله يتخذون مع الله آلهة أخرىٰ!!

محمد بن عبد الله ﷺ في رجولته:

ويصبح الوليد الحبيب رجلًا كملت فوق الكمال معاني رجولته، وتنضرت فيه رَفّافة النضرة، عوارف إنسانيته العليا، وتطهرت عقيدته الصافية من كل ما يشوبها، فما تفتحت حواسه كلها إلا عن آيات رحمة الرب وحكمته، وما عرف

---

(١) (٣/ ١٣٧٠هـ).

للوجود ربًّا يربيه ويدبره غير الله، ولا استرحمت في هواجر الحياة غير الرحمن، ولا أنابت - حين يغشىٰ الليل الظلوم - إلا إلىٰ الواحد الديان... ويستشعر الرجل الإنسان الكامل في نفسه غلة الشوق إلىٰ الله، ويحس باللهف الملهوف يعصف بسكونه الشعوري لكي يعلم ويسمع... يعلم حقيقة الإيمان تجليها كلمة الله مفصلة لسنن الله، ويسمع نداء التوحيد من غيب السماء، ها هي عيناه المشوقتان تتطلعان إلىٰ السماء كقلبه المشوق، وها هي روحه تنساب رفافة تطوي أمد الآزال والآباد تطلعًا إلىٰ نبإ من ربه الأول والآخر، والظاهر والباطن.

محمد يوحى إليه:

وها هو ذا في ليلة القدر من رمضان، وقد شغفه ربه حبًّا، إذ أراه جبريل متبَدِّيًا في الأفق يلهب قلبه بالشوق: «أنت رسول الله وأنا جبريل»، وأضناه الشوق والحنين إلىٰ روح من عند ربه يحيي بها ما أماتت الجاهلية العمياء من نفوس الإنسان الظالم لنفسه بعبادة الأوثان، حتىٰ ليكاد يستشعر الصلد لفحة الأشواق في هذا القلب السماوي الرقيق، والسموات ومن فيها إصغاء وخشوع لما سيكون، والوجود في سكونه الشاعر ترف علىٰ آفاقه قداسة علوية، ها هو ذا محمد العظيم يتلقىٰ عن الله، فإذا به في لحظة رسول من الله للإنسانية جمعاء.

وكان أول ما أوحي إليه تعريف بالله وعظيم ربوبيته: ﴿رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾ [العلق: ١]، وتعريف بالإنسان في حقيقته وضعفه وحاجته: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢﴾ [العلق: ٢]، فيصل حكيم دقيق خبير بين صفات الله، وصفات البشر، بين الرب والمربوب، الخالق والمخلوق، ليكون ذلك أول ما يقرع السمع من وحي السماء، اسمع واسمع: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣

ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق: ١-٥].

تذكير بالربوبية الخالقة المربِّية، التي تعلم وتعلم، ثم تذكير بالإنسان، وحاجته وفقره وجهله، أرأيت كيف يضيف كلمة «الرب» مرتين إلىٰ ضمير خطاب محمد مثال البشرية في سموها، أرأيت كيف يذكر من صفاته: الخلق والعلم بالنسبة إلىٰ ذكر الإنسان؟ حتىٰ لا يستعلي ذلك الضعيف أو يستكبر فأخص صفات الربوبية الخلق، وأخص صفات الإنسان أنه مخلوق، وأكمل الصفات وأسماها غاية: العلم... فتأمل كيف يبدأ الوحي بهاتين؟

جهاد الرسول:

وجاهد محمد الرسول ﷺ وما في البطولات - عزت جهادًا وسمت عزائم، وشرفت غايات - ما يدنو من بطولة الرسول الأعظم... ناضل الأعزل من السلاح بالكتاب الذي أنزل عليه، لأنه حق من الحق، وقوة من القَوِي، فانتصر المجاهد الأول.

انظر إلىٰ الكعبة المشرفة... أين منها وحولها أرباب ذلت لها الجباه، ودان تحت الذل الجبابرة! إن نور القرآن سطع هنا، ودعا بآياته رسوله، فزلزل الشرك، ولاذ بالرعب المشركون، فإذا اللات العاتية لقًىٰ مهان، وإذا العزىٰ وراء الذل صاغرة، وإذا مناة تلوذ بالمنية فتستعصي عليها.

دعوة الرسول:

دعا الرسول ﷺ إلىٰ الله لا إلىٰ نفسه، والله العليم الخبير جعل مهمة محمد الأولىٰ والآخرة تأدية رسالة ربه، فأداها خاشعًا قانتًا في كنف الله بالذل العزيز من العبودية النقية المطمئنة...

ولقد كان يلمح الرسول - الذكي اللماع الذكاء بفطرته، اليقظ، القوي اليقظة لنزعات الشيطان - يلمح من بعض العيون نظرة تكاد تؤلهه كما ألهت مَنْ قبله من الأنبياء، ويسمع على الشفاه همسات توحي بأنهم سيغلون فيه كما غلوا فيمن قبله من الرسل المعظمين، وهنا يجلجل صوته القوي: «**لا تطروني كما أطرت النصارىٰ عيسىٰ ابن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله**»(١) هكذا وبذلك الأسلوب البليغ القوي في تأدية معناه يقيم الحجة قاطعة ماحقة لدعوىٰ الزيغ والبهتان: أنه النور الأول أو الخلق الأول الذي فاض من الله، ويعلو بيان القرآن يعلن كلمة الحق: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف: ١١٠]، ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٩]. فتصفو القلوب، وتسكن النفوس، وتتطامن العقول، ويتسمع آنًا همسة يغلغلها الشيطان بغلو الحب، أن الرسول يعلم الغيب، فيرشد القرآن بهداه، فيكبح جماح الظنون ويقشع أوهام التخيل إذ يقول: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]، وتتهامس الخواطر، يلونها الشيطان بفنون سحرية من الخيال، وتهاويل وثنية من الأساطير، أن محمدًا لا يعتريه الموت فهو الحي وإن بدا للعين جسدًا يواريه التراب، فإذا بالقرآن الهادي يعلن الحقيقة السرمدية للإنسان: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزمر: ٣٠]، ويعلن: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، ويتأنق الشيطان في نزغاته فيهمس أن محمدًا بيده من الأمر شيء، وأنه ينفع بما ينفع به الله وحده، غير أن القرآن يعلن في جلاء وإشراق مخاطبًا الرسول: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]، ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾

(١) سبق تخريجه.

﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾ [الجن: ٢١-٢٢].

ثم يعلن الرسول هادمًا ركنًا من الوثنية التي توقن بالحسب والنسب، وتقول: إنه نافع شافع عند الله. يقول الرسول موجهًا خطابه إلىٰ أحب وأعز بضعة منه، ابنته فاطمة: «**يا فاطمة بنت محمد، اعملي؛ فلن أغني عنك من الله شيئًا**»(١).

ويؤمن أصحابه بكل هذا، ويوقنون ويثبت يقينهم أن محمدًا البشر له دنياه وعيشه وملبسه وطعامه وشرابه، فهو ببشريته في الدنيا لا يلزم كائنًا من كان بأن يكون مثله، أما محمد الرسول، فالواجب التأسي والاقتداء به فيما يأخذ وفيما يذر، ويحيا محمد ﷺ في الدنيا حياة البشر، طعامًا وشرابًا ولباسًا، ونكاحًا يقظة ونومًا، وإعسارًا آنًا وإيسارًا آخر، إنه ينساب بفطرته النقية الصافية في الدنيا يرمقها الدين، وتوجهها تقواه، ويسددها إلىٰ الغايات القدسية عبودية لله طاهرة، ولم يمت محمد ﷺ حتىٰ جعل العقول تفصل فصلًا حكيمًا دقيقًا، بين الخصائص الربانية، والخصائص البشرية، فلا تخلط بين صفات الله وبين صفات البشر.

وإذا كان هذا البشري محمدًا بن عبد الله، لم يمت الرسول حتىٰ جعل بالقرآن وبيانه العبودية تقف برجائها وخوفها، وذلها وضعفها، بإيمانها وتوحيدها، في رحاب الله الفساح مؤمنة مخبتة تقية، لا تطرف لها عين إلىٰ غيْره، ولا يهمس لها خاطر أمل في سواه، ولا ينزع بها خيال رجاء إلىٰ من دونه، فإذا المؤمنون: إلههم واحد، هو الله رب العالمين، وإذا هم أمة واحدة هم المسلمون الإخوة، وكتابهم

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: المناقب، برقم: (٣٥٢٧)، ومسلم، كتاب: الإيمان، برقم: (٣٤٨)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

واحد هو القرآن ورسولهم المقتدىٰ به واحد، هو محمد رسول الله، يقتدون به في رسالته لا في بشريته، في دينه لا فيما تناول به من دواعي العيش دنياه.

صحابة وصديق:

ويسجل التاريخ في سجل الصدق والحقيقة حبًّا وصداقة بين رجلين، أما أولهما: فقد بلغ الرسالة عن ربه، وهو محمد ﷺ.

وأما الثاني: فقد صدق بما جاء الرسول عن ربه، وهو أبو بكر الصديق. يسجل التاريخ هذه المحبة وتلك الصداقة، وتطل القلوب إليها مشغوفة ملهوفة، لعل أقباسًا منها تضيء سبيل الصداقات للقلوب، ولعل إشعاعًا منها يهدي روحية الحب في متاهات الحياة إلىٰ ربيع الخلود، ويعلن التاريخ في صدق أنه لم يعطر الوجود الإنساني بمثل ريًّا تلك الصداقة، ولا تسامت الروح ولا تألقت الإنسانية في صفائها الرقراق كما حدث في تلك المحبة، ولا أشرقت أخوة في الحياة يباركها الله مثل ما أشرقت هذه الأخوة بين الرسول وبين صاحبه ووزيره أبي بكر الصديق.

ها هما تحت غلائل الليل، أتت عليه الوحشة الرهيبة، يلفهما صوت عميق سحيق لا تسمع فيه إلا هينمات الروحين بالتسبيح والخشوع، هذا هو الصديق يخلف وراءه من يخلف من الأحبة، ويدع وراءه ما يدع من الدنيا، ويمتطي الهول والرعب، ويقتحم الليل والقفر، ويجوب الدياجير تعوي رياحها النكب الزعازع، بين ماض لم يذق فيه راحة أو هدوءًا، أو مستقبل في كنف الغيوب المجهولة لا يدريه، ولكن كان يسعده ويجعل الحياة من حوله فردوسًا: أنه مع رسول الله، ها هما في الغار حيث يترصدهما الموت أمامه... أرأيت إلىٰ الصديقين هنا في الغار تدب هوامه وتخشن صخوره، ويطغىٰ عليه من ظلم الليل ركام؟!

أرأيت إليهما هنا؟! ماذا جمعهما؟! وفي سبيل من اجتمعا؟

إن الدنيا بمفاتنها ومباذلها المكحولة الآثام كانت هناك، والشرك في طغواه وصولته الصائلة يعج أمام باب الغار، ولكنهما من كل ذلك في حصن قوي من الإيمان والثقة واليقين، وحسب أبو بكر أنهما وحدهما، ولكن المؤمن الأول محمدًا ﷺ يذكره، فيطمئن الصديق إلىٰ قوله: ﴿لَا تَحْـزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾.

ألم تر إلىٰ تلك العاطفة الإيمانية في قلب أبي بكر لمحمد شبت، ثم إذا بها تجعل الرسول ﷺ عنده قبل النفس والمال والأهل والولد؟! أحدثك التاريخ أن رجلًا عظيمًا كريمًا نبيلًا أحب صاحبه كما فعل أبو بكر الصديق؟!

ماذا بعد موت الرسول:

ويدور الفلك دورته، وينزل بمحمد ﷺ ما ينزل بكل بشر، ينزل به الموت، أليس محمد نفسًا؟! و﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، كما بلغه ربه وبلغ هو عن ربه؟ ترىٰ ما حال ذلك القلب الرقيق البكَّاء، قلب الصدِّيق إذ يفجعه الموت في أعز من يحب في دنياه؟! وما حال تلك العاطفة تتلظىٰ شغفًا وتتلهب حنينًا إذ ترىٰ عيني محمد ﷺ يغمضهما الموت وكانتا صفاء قدسيًّا، ونورًا علويًّا، وإيمانًا نقيًّا، كانتا تبثان اليقين في المريب، والطمأنينة في القلق، والأمن في الخوف، والأمل في اليأس؟!

وتلفت التاريخ رائع الإعجاب ليمجد بطولة قلب عظيم كبير، لا يهوله الهول، ولا يذهله الروع، ولا تزلزله الداهية، ويتلمظ الشيطان لاعقًا باللهب المحرق شفتيه، ويصيخ بسمعه وهو يتفجر وسوسة يَخْتِل بها إيمان القلوب، ولكن الشيطان يسمع الصدّيق الرفيق الرقيق المؤمن القوي يقول للجازعين من حوله:

«من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت»، ويذكرهم بالآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، والصحابة جميعًا ينصتون لقول أبي بكر فيؤمنون بموت الرسول ويطمئنون؟

ولو تكشف لك الشيطان يومها يحثو علىٰ رأسه الغبار حسرة وغمًّا، لرأيته يحاول إغواء القلوب أن تنسىٰ محمدًا البشر، ليبعث فيها ما وسوس به لعباد عيسىٰ، فتتوهم أن محمدًا ﷺ لم يمت، لأن الآلهة لا تموت...

ولكن أبا بكر وأصحاب محمد ﷺ معه لم ينسوا، ولم يهنوا، ولم يستكينوا، ومضوا في سبيل الله ينشرون النور، ويبددون غياهب ظلمات الأوهام، هالوا التراب علىٰ رسول الله، ولولا أنهم أمروا بذلك ما فعلوه، كما قال أنس لفاطمة، ومضوا مضاء عزيمة، وصلابة إرادة، وقوة إيمان يحاربون الشرك والمشركين، والردة والمرتدين، إعلاءً لكلمة الله، ما صرفهم قبر الرسول عن ربهم مرة، ولا غزهم خيال بالغلو في ذكراه بعد الموت إلا بما شرع الله.

إن الرسول ﷺ علمهم أن عظمة محمد في رسالته، وأن حبه هداها، لن يكون إلا باتباع ما جاء به، إذ قال لهم: «**لا يؤمن أحدكم حتىٰ يكون هواه تبعًا لما جئت به**»(١) هذا هو الحب، وميزانه وبرهانه: محمد ﷺ مات، والله هو الحي القيوم

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١٥)، والبغوي في شرح السنة (١٠٤)، والسلفي في معجمه (١٢٦٥)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وضعفه الألباني في المشكاة (١٦٧).

المنفرد وحده بالبقاء، وحب الله وحب رسوله في العمل بكتاب الله وسنة رسوله، أما ذلك القبر، أما تلك الذكرانات، أما تلك الدموع التماسيحية المصطنعة والتهاويل والخيالات، أما ذلك كله فليس من تمجيد محمد ﷺ في شيء، إن حب الله هو الأول في القلوب، وقد حدد الله السبيل الذي يصل بالقلب إلىٰ حبه تعالىٰ في قوله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، فسبيل حب الله اتباع رسوله، لا الطواف حول قبره، ولا التمسح بستره، ولا إقامة حفل كلما عبرت علىٰ الخواطر ذكراه، بهذا آمن أصحاب الرسول، فلم يطوفوا حول القبر، ولم يقيموا في ربيع الأول له عيدًا ولا مولدًا.

ويتلفت التاريخ مرة أخرىٰ ممجدًا، وتتلظىٰ عينا إبليس حقدًا وبغضًا، فأصحاب محمد وأتباعه مازالوا علىٰ العهد ينشرون النور، ويهتكون بالحق سجن الظلام، وَتُسْتَذَلُّ التيجان الطاغية، وتُثَلُّ العروش الباغية، وتستعلن كلمة الله في الآفاق في قوة سماوية عالية، وفي إيوان كسرىٰ بعد النار يعبد الله نور السموات والأرض، ويتردد في جوانب الصدىٰ المقدس في جلال وجمال من شفاه المؤمنين، إذ يقولون: «الله أكبر»... ويمر ربيع وربيع وربيع، ولكم من ربيع وربيع مر علىٰ الأصحاب والأتباع... فماذا فعل أصحاب محمد وأتباع محمد؟!

أأقاموا لذكراه حفلًا؟! مولدًا؟! عرائس مولد؟!

أتلوا له قصصًا ينطلق منها صارخًا شيطان الغريزة!! لم يفعلوا ذلك لأنهم مؤمنون موحدون، وتمضي حقب طويلة، ليس فيها «مولد» ولا احتفال بذكرىٰ المولد، ولا قصص تتلىٰ، ولا عرائس ولا حكومة تُعِين علىٰ البدعة الوثنية، وعلىٰ هذا مضىٰ السلف الصالح ﷺ، وكانوا أعرف بالرسول، وأصدق حبًّا للرسول؛

لأنهم كانوا يمشون علىٰ هدي وبصيرة كتاب الله وسنة الرسول، ولكن خَلَفَ من بعدهم خلف هجروا القرآن، وعَمُوا عن هدي الرسول فاتبعوا الظنون والأوهام، وشرعوا من الدين ما لم يأذن به الله، وزينها لهم الشيطان باسم البدع الحسنة، وباسم الحب والتعظيم لرسول الله، وما هو إلا المحاربة لهدي ورسالة رسول الله، ولكن أكثرهم لا يعقلون.

المسلمون اليوم ونبيهم:

وبعد أحقاب وأحقاب يرنو التاريخ بعينيه الحزينتين يمنة ويسرة، ويصيخ بسمعه، ليرىٰ ويسمع ما بقي من دين الله الذي أنزله علىٰ خاتم الرسل محمد ورسالة عبد الله ورسوله محمد، وذعر التاريخ وولولت أمجاده، ونكس رأسه، وفي إطراقه ذل اليتيم يسومه الخسف ظلم عات جبار، وفي عينيه الداميتين مآس دامية، وعلىٰ فمه الراعش فاجعة وَلْهَىٰ نواحة الدموع، وجد التاريخ كل شيء إلا دين عبد الله ورسوله محمد في حقيقته، وسمع كل اسم تهتف به القلوب إلا اسم الله مالك الملك، وفي المحاريب أوثان وفي المساجد أصنام، وعلىٰ المآذن بدع ناعقة، وجد القرآن عند المسلمين تميمة تباع، وغناءً ماجنًا في المآتم وعلىٰ القبور.

وجاء ربيع والتاريخ محزون أسْوان[1]... فرأىٰ هنا وهناك أوثانًا من الحلوىٰ تصنع باسم سيد الإنسانية وهاديها محمد، وسمع وزيرًا كبيرًا خطيرًا يقول: إنه سيزيد من كمية السكر، ليفرح به الناس في مولد محمد.

ويسأل التاريخ ولهان السؤال: وأين من كل هذا دين محمد؟

(١) أسْوان: حزين. (ض).

آهًا لك يا أمجاد الماضي السحيق!!

دعيني أقل للتاريخ الجواب: إنها أمة مسلمة الأسماء[١] يا تاريخ، جاهلية الحقيقة والأعمال[٢]، مشركة القلوب والعقائد يا محزون، لم يبق عندهم لمحمد من ذكريات غير عرائس من السكر، ودمىٰ يعاف أجملها الذباب، وتهتكات من أغاريد تناجي الشهوات، وتتملق الغرائز، وتقف بالرغاب الهِيمِ عندها أسيرة ذلولًا..

عجبًا لهذه الأمة الماجنة الهازلة!!

من ذا الذي زعم لهم أن الاحتفال بمولد الرسول سنة حسنة؟!

إني لأسائل هؤلاء العباد بالبدعة وللبدعة: إما أن يكون الاحتفال بالمولد بدعة أو غير بدعة، أو بمعنىٰ آخر: من الدين أو ليس من الدين... هم لا يقولون بأنه بدعة، ولا أنه ليس من الدين، فلم يبق إلا قولهم إن الاحتفال بمولد الرسول - في أية صورة - من الدين أو ليس بدعة...

ونحن لو قلنا بهذا رمينا أصحاب محمد بالقصور وبالتقصير؛ بالقصور عن إدراك معاني الدين، وعن سبيل تكريم محمد وتمجيد رسالته، وبالتقصير في حق الدين وحق محمد، أو بمعنىٰ أصرح: نتهمهم بأنهم كانوا قاصري الفكر والدين، ونقول: إننا أحكم وأزكىٰ عقيدة، وأبعد نظرًا في الدين، وأسلم بصيرة في التدين،

---

(١) حتىٰ هذا المظهر بدأ يضيعه المسلمون فترىٰ من يسمىٰ: كوكو، كيكي، من هذه الأسماء التي ترمي بالتخنث أصحابها.

(٢) يرىٰ أهل السنة أن الجاهلية العامة المطلقة قد انقطعت ببعثة النبي ﷺ، ولكن هذه جاهلية مقيدة من باب قوله ﷺ: «**إنك امرؤا فيك جاهلية**». (ض).

وأشد حبًّا لمحمد ﷺ من أبي بكر وأصحابه، وما يقول بكل ذلك إلا وثني، أو من في عقله دخل.

من ذا الذي أحب الرسول حب أبي بكر وأصحابه؟! لا أحد.

أفيستطيع القول قائل: إننا نكرم بهذا المولد محمدًا أكثر مما كرمه أصحابه؟! أفندرك نحن اليوم ما يجب له وما ينبغي لرسوله أكثر من أولئك الأمجاد الأحبة الذين باعوا أنفسهم وأموالهم لله، وقاتلوا وقتلوا ابتغاء رضوان الله!!

أين نحن من هؤلاء القوم الأعزة المؤمنين الموحدين؟!

أنقول: إن أبا بكر قصر في حق صاحبه فلم يصنع له مولدًا، ولا احتفل بذكرىٰ مولده؟

أنقول: قصر عمر فلم يجئ بمنشد ماجن متكسر متخلع سكير عربيد يتلو له قصه محمد ويتغزل في «بطن ووجنات وحواجب وعيون» محمد؟؟

أنقول: قصر عثمان ذو النورين وعلي الرضىٰ، فلم يصنعا عرائس مولد أو «أحصنة» ولم يقيما احتفالًا حكوميًّا بمولد محمد؟!!

لو قلنا: إن الاحتفال بمولد الرسول دين أو سنة حسنة، رمينا القرآن بالقصور، فهو لم يبين لنا ذلك، والله يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾ [المائدة: ٣]، ورمينا الرسول إما بالقصور وإما بإخفاء ما أمر بإبلاغه، لأن السنة لم تأمرنا بالاحتفال بمولده، بل حذرت من ذلك كل التحذير؛ أفيجرؤ إنسان عنده أثارة من إسلام علىٰ القول بما ذكرناه؟؟

يقول قائل: وماذا في الاحتفال بمولده؟؟

إن من يتجاهل فيسأل هذا السؤال كأنما «يهذر» علىٰ الله ورسوله. قل لهما:

لماذا لم تأمرا به، ولماذا لم تحتفلا به؟! أنا أعلم منكما بم يجب...

إن الله كرم الرسول أجل تكريم في أمرنا بالصلاة عليه، وهذا أسمىٰ وأعظم وأبعد غاية في معاني التكريم من كل ما يتخيل البشر ويفتن في تصويره الوهم الشاعري، وتفكر فيه العبقرية النفاذة اللماحة تستدني ما خلف النجم.

ويقولون: جرت العادة أن نكرم العظماء بمثل هذا!! نعم جرت عادتكم، وعاداتكم وثنيات الجاهلية، أو وثنيات الغرب، فتنكم شيطانه الأثيم، أفتحكِّمون في دين الله عاداتكم، ومحمد ليس كعظمائكم يا قوم، بل هو فوقهم وأسمىٰ وأجل، إنه رسول عظيم ختم الله به الرسالات والرسل جميعًا، والله كرمه بإيجاب طاعته وبالصلاة عليه حيًّا وميتًا، فلنقف عند ما أمر الله، فهو يحب رسوله أكثر مما نحب، أستغفر الله من كلمة «أكثر» فما ينسب حب الله إلىٰ حبنا نحن، ولا يقاس أبدًا حبنا إلىٰ حبه، والله أحكم وأعلم.

مظاهر الاحتفال بالمولد:

لم يبق لمحمد ﷺ عند هؤلاء إلا ما لا يحبه محمد، وإلا ما لا يرضاه رب محمد، ولم يبق من أثارة تمجيد لمحمد، أو شية من تكريم له في قلوب هؤلاء وعملهم سوىٰ ما يأفكون به من مظاهر وثنية نذكر بعضها:

أولًا: في كل ربيع تصنع أصنام من الحلوىٰ باسمه!!

إن مَنْ حَطَّمَ الوثنية في شتىٰ صورها، ومتباين مظاهرها، وأذل طواغيتها، ودمر أصنامها، يحتفي الزاعمون حبه واتباعه بذكراه بأوثان من الحلوىٰ يلعقها الذباب، ثم يعافها من كثرة ما سلح وبال عليها، ومن عجب يسمونها بمثل هذه الأسماء «عروسة المولد، حصان المولد، كلب المولد، قرد المولد».

أرأيت ما يقرنونه بمولد نبيهم كما يأفكون؟؟ ولو أن هذه الأوثان، لو أن هذه العرائس الصماء، لو أن هذه الدمىٰ التي تصور الغرائز مجنونة النزوات والأخلاق آبقة من الدين وسلطان الضمير، أقول: لو أن كل هذا أنفق ثمنه في سبيل البائس المحروم، أو اليتيم المظلوم في سبيل إعلاء كلمة الله، في سبيل بناء دور للعلم، مشاف لعلاج المرضىٰ، في سبيل تسليح الجيش يدفع عن الوطن غوائل العدو!! في سبيل الفقير يكاد يسلمه الجوع إلىٰ الشيوعية الهدامة لكل معاني القيم الشريفة العالية، في هذا الشهر وأمثاله من كل عام يأكل الذباب آلافًا تتأبّىٰ علىٰ العد من الجنيهات، أفهذا خير أم ذاك؟!

إن الحياة الاجتماعية في مصر تنهار إن لم تكن قد تناهىٰ انهيارها، لأن الحياة الدينية الحقة لا وجود لها، وتلك مرتبطة بهذه ارتباطًا وثيقًا، فعندي - بل عند الحق - أن كل معاني الحياة ومقوماتها وقيمها يجب أن تنبع من الدين.

الأخلاق الفردية، الأخلاق الاجتماعية، غاية الفرد، غاية الجماعة، الأوضاع الاقتصادية، المثل العليا للفكر والوجود، القيم الأخلاقية، والجمالية، والفكرية، والوجودية، كل هذه وتلك يجب أن تشع من الدين، وتستهدف هدفًا واحدًا، هو صلاح الإنسانية حتىٰ تستطيع المثول والنهوض صافية مشرقة بين يدي الله، تؤدي له ما أمرها به لخيرها من صلاح وإصلاح وخير وبر، وفضيلة وطاعة، وهو بالرضىٰ يغمرها، وبالعناية يسدد خطاها، وبالرعاية يكلأ أيامها، فيكون رب واحد وإمام واحد وسبيل واحد وأمة واحدة، والله راض والأمة سعيدة برضاه، فلماذا لا نقيم بثمن هذه الأوثان - وقد تطهرنا من شوائب الوثنية - ما يعين الداعين إلىٰ الله لتقويم الحياة الدينية والاجتماعية، فلنسخر هذه النقود في نشر الرحمة

والعطف، وتأسية جراحات القلوب، ورصد غائلة الأساطير الهدامة لعقيدة الشعب وأخلاقه، بهذا نطهر عقيدة المسلمين، ونندي بالحنو الرقيق غليل عواطف القلوب، فما دام المسلمون يربطون مولد رسولهم بالوثنية فلن يقوم لهم بناء، ولن يرضىٰ عنهم رب الأرض والسماء، وما دام المسلمون يعبدون البشر، ويشركون برب البشر، ويقدسون محمدًا ويخلعون عليه وآله من صفات الألوهية، فلن يكون ثَمَّ صلاح ولا خير ولا إيمان ولا توحيد.

لنفهم جيدًا قول الله: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] فالاقتداء يكون بالرسول، والأسوة بالرسول، أما محمد في بشريته ودواعيها في الحياة فما أمرنا أن نقتدي بها ولا أن نتأسىٰ.

المظهر الثاني القصص والأناشيد:

ويحتفل المسلمون بالمولد بقراءة قصص وترتيل أناشيد، يا للتمجُّن الأخرق!! ليت القصص كان مبنيًّا علىٰ أسس من الصدق والحق من سيرة الرسول، ولكن العجب الملثم بالعجب: أن ترىٰ قصصهم هذه، تنمنمها الأساطير، وتزبرجها الخيالات، ويهيم بها في شتىٰ الضلالات وتيه الأباطيل صور وثنية الأنساب، تبحث في قصصهم عن محمد البشري فلا تجد، وعن الرسول فتحار أين هو؟!

ولكنك واجد أحيانًا إلهًا يسمونه محمدًا، أو فتىٰ جميلًا أنيقًا أزج الحواجب أكحل العينين متخنثًا، يسمونه محمدًا، فالمناوي يقول عن محمد هذا: (لولاه ما كان ملك الله منتظمًا، ولولاه ما كان شمس ولا قمر ولا دنيا ولا أخرىٰ).

ويصف محمده بأن «حواجبه نونية» إلىٰ مثل تلك الصفات المخنثة...

إنك واجد في قصصهم صفات ما لمحمد الرسول بها صلة، وسجايا ليس

للنبي الكريم بها نسب، وأخلاقًا إما هي سمات إله متجسد في صورة بشر، أو أنثىٰ تردت كساء رجل، ويا للعهد الفاسق يتنزىٰ من أناشيدهم، هذا نشيد يتغزل في «حاجب» محمد، وذاك في «بطنه» ذات الثنايا، وذاك في ظلمِ الشيمِ الحلو الذوق، وذاك في وجنتيه اللتين تتلهف عليهما شهوات القبل العربيدة، وذاك في وصاله الذي هفا تحت الليل وغلائل السحر يدعوه إليه، صيغَ كل هذا في كلمات تجرح الحياء، وتدمي الفضيلة، وتؤذي العفَّة، وتثخن بالجراح التصون[1]، وينشد هذا بصوت توهجت فيه غلة الشهوة الفاجرة، وعربدت فيه نشوة الغريزة الآثمة، وتنأوحت فيه الآثام أغرتها ظلمة الليل، ويذاع كل هذا علىٰ الملإ من محطات الإذاعة، وينشد في المحاريب، وتبدأ به وتختم صلوات الفجر من ربيع ومن رمضان.

أرأيت أية مكانة لمحمد عند أمة زعمت أنها أمته؟!!

يعيبون علىٰ غواني الإثم صرخاتهن إليهم بالهوىٰ والفتون، ولا يعيبون علىٰ أولئك الذين يلحدون في أسماء الله، ويفخرون باسم محمد، لئن غنت فاجرة، فستثير نزوة، وإن غنىٰ فاجر باسم محمد فماذا يكون؟!

عقيدة تطيح، وقدسية تهوي، وفضيلة تذبح، وفوق ذلك رسول كريم يستهزأ به ويسخر منه، كثيرًا ما نقد الناقدون أغاني الإثم، وما سمعت من ينقد تلك التي يسمونها قصة المولد النبوي تذاع علىٰ الملإ من محطة الإذاعة، ومن المساجد، وفي تلك القصة بأناشيدها وما فيها من الأساطير، والغي والإثم والتحلل من كل معاني الدين والتدين عجبًا! نغار علىٰ الفضيلة كما نزعم من أغاني الفواجر، ولا

---

(١) لم نر داعيًا للاستشهاد، فما أكثر ما لهم من أناشيد، وكل قارئ لا بد سمع يومًا هذا.

نغار علىٰ الدين ورسوله من أناشيد الفجرة الملحدين!!

احتفال الحكومات:

وتأبىٰ الحكومات المتعاقبة[1] إلا أن تعين علىٰ آثام هذه البدعة النكراء، وتصلح من سلطان الوثنية، لأنها تتملق الجماهير، لا يهمها غير سمع الهتاف، وعلماؤنا يا رب ماذا أقول؟!؟ راضون ناعمون نشاوىٰ قلوبهم...

أقول: كل ربيع تقيم الحكومة فيما يسمونها ساحة المولد محفلًا كبيرًا يهرع إليه سدنة الطواغيت، وعباد الأصنام من الصوفية، فيقيمون ثَمَّ السرادقات، وينحرون فيها الذبائح باسم محمدهم، ويقدمون الطعام باسم محمدهم، والشراب باسم محمدهم، ويشهد الله الذي حرم السحت، من أين جاءوا بذلك السحت الذي يسحت الإيمان.

ولا تدري أنت أية أعراض انتهكت في سبيله، ولا أية فضائل جُرِّحت ابتغاء جمعه، إن الصوفية يجمعون ذلك السحت أحيانًا باسم محمدهم، أو سيدهم، أو دسوقيهم، أو رفاعيهم من أتباعهم المساكين «الغلابة» والدرويش الغلبان، قد يبيع قوت أبنائه، وثيابه، وما يستر عورة امرأته، حتىٰ يؤدي لشيخه عوائده.

وفي هذه الساحات والباحات تقوم سوق الفسوق، ويدعو إليها شياطين الجن والإنس كل حزبهم الأخسرين، وتقذف المدينة والريف بفساقه وعرابيده، وهناك تحت أروقة الليل ترىٰ الباغين والبغايا، والمحششين والمحششات، وينتهكون

---

(١) كل الحكومات غرقت حتىٰ أذنيها في تلك الضلالة الوثنية، فما برئت من داء ذلك إلا الحكومة العربية السعودية.

كل حرمة، ويجترحون كل إثم، كل ذلك الإثم الداعر في حب... في حب «صاحب المولد»!!

علىٰ قارعة الطريق يفجؤك الإثم في صولته، وصوب عينيك الفسوق ينزو في خمرته، فإذا ناديت أو دعوت، ضاع صوتك في ضجة صخب الشهوات المجنونة، ثم يعود الفساق العرابيد، يطعمون ويشربون من سرادقات «الشيوخ الكبار» طعام وشراب صاحب المولد، فيستعينون بالطعام وبالشراب علىٰ معاودة ما كانوا فيه!!

عذرًا قارئي العزيز، إذا أثرتُ نفسك، أو لمست بالخدش رقيق حيائك، فإنما يجب بيان حقيقة الداء، حتىٰ يعرف علىٰ حقيقته وينفع له الدواء.

ثم يا ويل العفاف، ويا رحمتىٰ للفضيلة الأسيانة[1]، وللدين!

كم ذا يستغيث من الليلة الكبرىٰ للمولد!!... بأصوات النيازك تختلط أصوات الإثم تلعقه الشفاه، وكأنما أنت في مكان تتكشف فيه الحيوانية عن أحط غرائزها..

وثم في ناحية أخرىٰ يقوم شيخ وخطه الشيب، وعلىٰ جبينه تجاعيد الزمن، يقوم يَنْأَدُّ به حطامه الفاني، ليتلو ما يسمىٰ قصة المولد في حضرة « الأكابر» وينصت الأكابر الذين لا ينصتون للقرآن، وتقشعر جلودهم، وتهينم مشافرهم[2] بالصلاة علىٰ نبيهم، إذا «ولَّدُوا» نبيهم هبوا وقوفًا إجلالًا للمولود الجديد وللقابلة، وأطلقوا البخور تحية «لِعُمَّارِ» المكان، حتىٰ لا يؤذوا الوليد الجديد، وتنطلق

---

(١) أسيانة: حزينة. (ض).

(٢) جاء في لسان العرب: المشفر للبعير كالشفة للإنسان، وقد يقال للإنسان مشافر علىٰ سبيل الاستعارة. (ض).

حناجرهم - وقلوبهم آثمة - بالصلاة علىٰ نبيهم صلاة لا تعرف لها حرفًا من جَرُف، ثم... ثم ماذا؟!

يدخلون ويشعبذون أن ربهم في هذه اللحظة التي «ولَّدوا» فيها محمدهم من جديد يستجيب الدعاء! واحَرّ قلباه!!...

حتىٰ علىٰ الله ذي الجلال يكذبون!!

وهكذا «يوَلِّدون» آلاف المحمدات في كل عام ثم يميتونهم، حتىٰ يجيء ربيع مرة أخرىٰ!!

كنت أحسب الحكومة تحتفل بميلاد محمد - ولنفرض أنه جائز - فتحارب ما كان يحارب رسول الله، وتحيي ما كان يحيي، فتحارب المنكر وتهدم المواخير، وتحطم أصنام الجاهلية، وتحيي علم رسالته وعقيدته الصادقة في إيمانه بربه، وحكمه الصالح بما أنزل عليه ربه، ولكن الحكومة تحتفل بالميلاد، فتعين علىٰ بدعة وثنية، وآثام تهلك أوزارها الدين والفضيلة والحياء، تحتفل الحكومة بالميلاد والاحتفال به شر بدعة منيت بها الأمة، وبهذه الصور الماجنة المسرفة في المجون... في العقيدة يا حكومات المسلمين خلل وفساد، فأصلحيه بسلطان من دين الله الحق وهداه، يشرق من القرآن ويرف نوره من السنة، وفي الأخلاق عوج أعوج، فقوميه بالأخلاق الإسلامية الصافية.

الوثنية مستعلنة مستعلية الكلمة، والفجور يتلظىٰ شواظُه قوي السلطان، والمنكر البغيض الكالح يستذل تحت نعليه المعروف، والبدع تجتاح نارها كل مكان، والأساطير والخرافات! و... و... وأشياء كثيرة، كل ذلك يجب أن يوجه إليه الجهد... يا عجبًا!!

أفعلنا كل شيء لمحمد ﷺ حتىٰ لم يبق إلا الاحتفال بمولده فنقيمه!!

الاحتفال يكون لرسالة محمد، وهداية محمد، وسنة محمد، بالكتاب الذي نزل علىٰ محمد، فهل حفلنا بالدين؟

أحفلنا بالقرآن، أم تلوكه الأشداق في المآتم، وعلىٰ القبور تشترىٰ به «القرص» وعلىٰ الطريق «يُشْحَت» به المليم؟ أحفلنا بالسُنة؟

أم مازلنا نجافي الصادق - وكلها صدق - منها، ونحتفي بالموضوع المكذوب مما دسَّه أعداء الله!!..

يجب أن نحتفي بالدين نقيمه، ونطهر عقائد المسلمين من وثنيات الجاهلية، أما أن نحتفي بالإثم، ونحتفل في مولد الرسول بالوثنية، ونقيم لذكرىٰ المولد حفلًا شِرْكِيًّا فاسقًا، فذلك يبين أننا أمة ما زالت في الأغوار البعيدة من نفسها وسوسة الوثنية الأولىٰ ورثناها من آلاف الأحقاب! فهي تتحين كل فرصة لتستعلن وتستعلي؛ ودليلنا علىٰ ذلك: أننا نرىٰ أن كل واجب ديني مهجور، وأن كل بدعة شريرة يُحتفىٰ بها ويذاد عنها، ويستميت علماء كبار في سبيل الدفاع عنها.

كلمة خاتمة:

ترىٰ هل نجد من حكومتنا عونًا، ومن علمائنا شد أزر، ومن المتعلمين فهمًا، ومن المقلدين فرارًا من التقليد الأعمىٰ وتصديقًا للحق؟!

ليس الاحتفال وحده بدعة، فهناك مئات البدع لوثت عقول المسلمين واعتقادهم، لأن الوثنية متأصلة، تمتد شعاب جذورها في الأعماق، فلنستأصل شأفتها من القلوب والعقول، وذلك لن يكون إلا بإعلاء كلمة القرآن تبينه السنة الصحيحة، وقد استعرضنا فيما كتبناه مظاهر الاحتفالات بالمولد، وكلها أمشاج

من الإثم والوثنية الأولىٰ، ودللنا علىٰ أن الاحتفال بالمولد نفسه بدعة سيئة ممقوتة، وكل بدعة ضلالة، فنسأل الله أن يعيننا علىٰ قول الحق نبتغي به وجهه، وأن يهدينا والأمة إلىٰ سواء السبيل.

